

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير الجلالين - سورة ق (2)

من آية: (8-15)

الشيخ/ عبد الكريم بن عبد الله الخضير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيقول المؤلف في قوله تعالى: **{وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا}** [9] سورة ق يقول: "كثير البركة" ماءً مباركاً نفعه للخلق عظيم، والماء عموماً جعل منه كل شيء حي، فهو مادة الحياة، هذا الماء لا يمكن أن يعيش بدونه أي نام من حيوان أو جماد، بدون الماء يموت، وهذا سر بركته، اعتماد كل شيء عليه بإذن الله -جل وعلا-، **{أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ * أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ}** [68-69] سورة الواقعة] ومع الأسف أنه يدار في مجالس الناس مسألة الاستمطار، مسألة الاستمطار، وأنهم يستطيعون بآلاتهم واختراعاتهم إنزال المطر، والله -جل وعلا-: **{أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ}** [69] سورة الواقعة] لا يستطيع أحد أن يمطر على الناس، أو ينزل من السماء ماءً بحال من الأحوال، قد يرشون الأرض بوسائلهم بطائراتهم بمراكبهم غيرها، المقصود أن إنزال المطر لا يستطيعه غير الرب -جل وعلا- **{أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ}** [69] سورة الواقعة].

{وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا} [9] سورة ق] وهو أيضاً جاء في وصفه أنه طهور، **{وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا}** [48] سورة الفرقان] فهو غاية في الطهارة، وفيه أيضاً البركة، ولذا كان النبي -عليه الصلاة والسلام- إذا نزل المطر يكشف عن ساقه ورأسه، ويقول: **{إِنَّهُ حَدِيثُ عَهْدِ بَرِيهِ}}**.

{فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ} [9] سورة ق] والمراد بالجنات البساتين، والزرع والثمار، وأيضاً العشب، وغيره مما يحتاجه الخلق من الأناسي والدواب وغيرهم.

{فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ} [9] سورة ق] الحب: الزرع، والحصيد: المحصود فعيل بمعنى مفعول، **{وَحَبَّ الْحَصِيدِ}** [9] سورة ق] هو من باب إضافة الشيء إلى نفسه، من إضافة الشيء إلى نفسه، كقولهم: مسجد الجامع، وصلاة الأولى، ولا بد حينئذٍ من تقدير، قالوا: مسجد المكان الجامع وهكذا، ويجوز إضافة الشيء إلى نفسه لاختلاف اللفظ، وهو وارد في النصوص ووارد في لغة العرب كما هنا، **{وَحَبَّ الْحَصِيدِ}** [9] سورة ق] الحب هو الحصيد، الحب هو المحصود، إلا إذا قلنا: إن الحصيد أعم من الحب، فالحب يؤخذ من الحصيد، يؤخذ من المحصود، من السنبل المحصودة، الحب يؤخذ من السنبل المحصودة، فتصح الإضافة هنا من إضافة الشيء الجزئي إلى الكل.

{وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ} [10] سورة ق] يقول: "طوالاً" وإعرابها حال، **{وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ}** يعني حال كونها باسقات، والبسوق: الطول، والعرب بسليقتهم يدركون أي خلل في الأسلوب، ولذا لما قرأ بعضهم: "والنخل باسقات" قال الأعرابي: لا يستقيم الكلم إلا إذا كانت لاسعات، ما تجي نحل باسقات، ما تجي، نعم إن كانت لاسعات

صحيح، فأين هذه السليقة مما يفهمه كثير من الناس من كتاب الله -جل وعلا- وسنة نبيه -عليه الصلاة والسلام-؟! يعني إذا كانت الحقائق العرفية قد تختلف مع الحقائق الشرعية فأين نحن من هؤلاء؟ حقائق عرفية؛ لأن الحقائق ثلاث كما هو معلوم: لغوية، وشرعية، وعرفية، فبعضهم يرى أن الشخص إذا كانت عنده الأرصدة الملايين لكنه بخيل وشحيح على نفسه وعلى أولاده، يأخذ من الزكاة، الذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم، هذا محروم، هذا محروم في عرف الناس وإلا في الشرع؟ في العرف، لكن تدفع له زكاة وإلا لا؟ ما تدفع له زكاة؛ لأنه ليس بمحروم شرعاً، المحروم الذي لا يتعرض للناس، ولا يسأل الناس، ولا يفتن له فيتصدق عليه، وفي المقابل السائل، فأين هذا من هذا؟ يعني المحروم شرعاً غير المحروم عرفاً، فتعارضت الحقيقة الشرعية مع الحقيقة العرفية، بعض الناس يعني إذا قلت مثل هذا التأويل قد يسنده شيء من اللغة، فهناك تأويل على السنة الناس لا يسندها لغة، ولا حتى ولا عقل، يقول: **{وَلَا تُكْرَهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ}** [(33) سورة النور] أجب ابنته على الزواج ممن لا تريده، وقيل له: لا تتكح البكر حتى تستأذن، قال: لكن الله -جل وعلا- قال: **{وَلَا تُكْرَهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا}** [(33) سورة النور] ثم قال بعد ذلك: **{وَمَنْ يُكْرِهَنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ}** [(33) سورة النور] يقول: أنا أريد هذه المغفرة وهذه الرحمة، كيف حمل الآية ما لا تحتمل؟ البغاء قالت: والله أنا ما أبغيه أنا ما يصلح لي، قال: لا بد نكرها على البغاء، هو ما يدري إن البغاء الزنا الحين، فهذا يذكر لبيان بُعد الناس عن فهم القرآن، بُعد الناس عن فهم القرآن، هذا يقول: ما يمكن تجي النحل هنا أبداً، النحل باسقات ما يمكن، فكيف؟ يقول: النحلة هي النحلة ما تجي طويلة وإلا قصيرة، إن كانت لاسعات صح، هذا أمي لا يقرأ ولا يكتب، فأين هذا ممن يفسر القرآن بهذه الطريقة، ويجرؤ على كتاب الله -جل وعلا-، ويهجم على النصوص ويفسرها بهذه الطريقة؟ فعلى الإنسان أن يهتم لكتاب الله -جل وعلا-، وقد جاء الوعيد الشديد على من فسر القرآن برأيه، يعني إذا كان ما عندنا ما نعتمد عليه، ولا نستند إليه من مآثور عن النبي -عليه الصلاة والسلام- في تفسير القرآن، ولا من أقاويل الصحابة، ولا من أقاويل التابعين، ولا حتى من لغة العرب، ما عندنا شيء فكيف نهجم على القرآن؟ ونحن نسمع من يفسر القرآن برأيه، وقد فسر بعضهم آية فيها سبعة أقوال لأهل العلم، سبعة أقوال لأهل العلم فسرنا بتفسير لا يوافق ولا قول من السبعة، لا شك أن هذه جرأة يأثم بسببها.

والإمام أحمد يُسأل عن معنى حديث فيتحري ويتوقى، وكثيراً ما يقول: اسأل غيري، هذه طريقة السلف، وهذا ورعهم عن أن يهجم المسلم على كتاب الله وسنة نبيه -عليه الصلاة والسلام-؛ لأن هذا من القول على الله بلا علم.

{وَالنَّخْلَ بِاسِقَاتٍ} [(10) سورة ق] يعني طوال، وباسقات: حال **{لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ}** "متراكم بعضه فوق بعض" طلع: ما يطلع منها، وما ينتج منها بدايةً من اللقاح الذي هو يسمونه إيش؟

طالب:.....

هاه؟

طالب:.....

البار؟

طالب:.....

لا بعض الجهات يسمونه كافور، وفي الأصل: كَفَّارًا، هو هذا الطلع الذي يلحق به، بدأ من هذا إلى الطعام الشهي اللذيذ الذي يجمع بين التفكه والغذاء، التمر، نضيد: يعني متراكم بعضه على بعض، يعني وقت خروجه متراكم؛ لأن بعض الناس يظن النضيد هو المكبوس بعضه على بعض، يعني بعد ما يجنى ويبيس يكبس بعضه على بعض يقول: هذا نضيد، لا، النضيد إنما يطلع من أمه، ولا يمنع أن يكون ذلك نضيد، لكن المقصود بالآية ليس المقصود به في المآل، إنما المقصود به في الحال.

{رِزْقًا لِلْعِبَادِ} [(11) سورة ق] رزقًا: **{وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ * وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ * رِزْقًا لِلْعِبَادِ}** [(9-11) سورة ق] مفعول لأجله، مفعول لأجله يعني أنزل الله -جل وعلا- هذا الماء المبارك، وأنبت هذا وهذا وهذا من أجل رزق العباد، رزقاً للعباد مفعولاً له.

{وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ} [(11) سورة ق] يقول المفسر: "يستوي فيه المذكر والمؤنث" لأن البلدة لفظها مؤنث، وما قال: ميته، بلدة ميتاً، ما قال: ميته؛ لأن الميت مما يستوي فيه المذكر والمؤنث، والميت بالتخفيف من مات بالفعل، بخلاف الميت بالتشديد الذي سيموت، الذي مات ميتاً، والذي سيموت يقال له: ميت، **{إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ}** [(30) سورة الزمر] يعني ستموتون، وهذا يستوي فيه المذكر والمؤنث، تقول: زيد ميت، وهند ميت، وهنا التذكير ميتاً التذكير على معنى البلدة التي يراد بها المكان، التي يراد بها المكان، كذلك أي مثل هذا الإحياء لهذه البلدة الميتة الخروج من القبور، فكيف تتكرونها؟ إذا كانوا يقولون: إن الميت من مات بالفعل، والميت من سيموت.

ليس من مات فاستراح، ليس من مات فاستراح إيش؟ بميت، وإلا بميت؟ نبي نشوف البيت جاري على القاعدة وإلا ما هو بجاري؟

ليس من مات فاستراح بميت لكن الميت ميت الأحياء

هل هذا جاري على القاعدة وإلا ما هو بجاري؟ هذا مات واستراح انتهى، نقول له: ميت وإلا ميت؟ الأصل نقول: ميت، ولكن الميت الذي سيموت ميت الأحياء، والشطر الأول مخالف والثاني موافق، وعلى كل حال مثل هذه القواعد، ومثل هذه الألفاظ التي يطردونها هي أغلبية ليست بكلية.

{كَذَلِكَ} [(11) سورة ق] أي: "مثل هذا الإحياء الخروج من القبور -يعني البعث- فكيف تتكرونها؟ وهذا من الأمثال التي يضربها للناس، يضربها الرب -جل وعلا- للناس، يضرب المعقول المعنوي بالمحسوس، يعني هل ينكر الناس أن السماء ينزل منها المطر، ينزل الله -جل وعلا- منها المطر على الأرض الميتة ثم ينبت فيها العشب والكلاء، ما ينكرون هذا، لماذا ينكرون البعث وهذا مثله؟ فكيف تتكرونها؟ يقول: "والاستفهام للتقرير" الاستفهام للتقرير، ولا يمنع أن يكون الاستفهام للتوبيخ والإنكار، "والاستفهام للتقرير، والمعنى أنهم نظروا وعلموا ما ذكر" هذا مثل ضربه الله -جل وعلا- لهؤلاء من أجل أن يقيسوا الغائب على الحاضر، المعنوي بالمحسوس، الخفي بالمشاهد، لكن الأمثال من يعقلها؟ ما يعقلها إلا العالمون، ولذا كثير من أهل العلم إذا أشكل عليه فهم مثل رجع إلى نفسه بالتأنيب، كيف يدعي العلم؟! والله -جل وعلا- يقول عن هذه الأمثال: **{وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ}** [(43) سورة العنكبوت] فعلينا معاشر طلاب العلم أن نعنى بالأمثال **{وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لَضَرِبُهَا}**

لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ [(21) سورة الحشر] هذه الأمثال من أعلى وأنفس ما يدرس من فروع علوم القرآن؛ لأن النفي والإثبات الحصر **﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾** [(43) سورة العنكبوت] معناه أن الجهال لا يعقلونها، فإذا أنت جربت نفسك في مثل من الأمثال لم تفهمه فأنت جاهل؛ لأن الجهال لا يعقلون هذه الأمثال، والله -جل وعلا- لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها، فالله -جل وعلا- يضرب الأمثال؛ لأنه بالأمثال يتضح المقال، هناك أمور معنوية لا يحسها الإنسان، ولا يدركها بحواسه، يدركها بالخبر، لكن لا يستطيع أن يدركها على حقيقتها إلا بالمثل؛ لأن الشيء الذي لم تره هل يكفي السماع بالإحاطة به؟ ما يكفي، الآن أنت تسمع عن عالم في الهند مثلاً تعرف عنه ما بلغك من علمه، وما بلغك من وصفه، لكن هل تستدل باسمه على حقيقته؟ لو مثلاً قيل لك: زيد بن فلان في المغرب، وألف كتاب كذا وكذا، تعرف منه بهذا القدر المحدود، بخلاف ما لو رأيته، إذا لم تره ولم يتسنَّ لك لقيه قيل لك: إنه مثل فلان، خلاص الآن الصورة قربت، وكثيراً ما نسمع من خلال وسائل في المذياع مثلاً أو بالهاتف تتوقع غير الحقيقة تماماً، تسمع الصوت تقول: أكيد إن هذا لونه أبيض وطويل، وما أدري إيش؟ ثم تفاجئ إذا نظرته إلى العكس تماماً، ليش؟ لأن العقول ما تدرك ما وراء الحيطان، العقل محدود، لكن إذا جيء بالمثل، إذا قيل لك: والله فلان العالم الفلاني الذي تسمع كلامه وتسمع شهرته كأنك ترى فلان، بالمثل اتضح، لو استطرنا قليلاً -والله المستعان- يعني يحتاج إلى شيء من البسط لأن المسألة مهمة جداً قد لا يدركها طلاب العلم إلا بالأمثلة والمزيد من ذلك.

الآن طريقة أهل السنة والجماعة إثبات ما أثبته الله -جل وعلا- لنفسه، وما أثبته له رسوله -عليه الصلاة والسلام-، على ما يليق بجلاله وعظمته من غير كيفية، الآن يكتب في المواقع أن مذهب أهل السنة هو التفويض، والمحققون من أهل العلم يصفون المفوضة مع المبتدعة مثل المعطلة ومثل الجهمية ومثل..، يعني لا شك أنه يؤثر عن أهل السنة أنها تمر كما جاءت، لكن هل يعني هذا أنها لا معنى لها؟ هل هذا أن لا معنى لها؟ لا، فالذي يكتب الآن، ويدار في هذه المواقع أن مذهب أهل السنة هو التفويض، هذا الكلام ليس بصحيح، ومرفوض، بل أهل السنة يشددون النكير على المفوضة، نعم قال أهل السنة: تمر كما جاءت لئلا يستغرق الإنسان ويسترسل فيصل إلى حد التكيف والتشبيه.

ما الفرق بين قول أهل السنة إيمانهم واعترافهم وإقرارهم بما جاء عن الله على مراد الله، والمعاني معلومة، الاستواء معلوم، والكيف مجهول، وبين قول المفوضة؟ الفرق بينهما أنك مثل ما تقول: زيد وديز، زيد عالم بالمغرب، وديز عكس كلمة زيد، ديز لها معنى وإلا لا؟ ليس لها معنى، التفويض مثل هذا، **﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾** [(5) سورة طه] مثل ديز ما نعرف شيء البتة عن هذا، وإقرار السلف بأن لها معنى مثل إقرارنا بأن زيد العالم في المغرب زيد نعرف أن هذه الكلمة لها حقيقة، وأنها تدل على شخص مسمى بهذا الاسم، والأصل أنه خلق على أحسن تقويم كبني آدم، لكن ما نعرف كيفيته، ما نعرف وراء ذلك شيء، لا نعرف هل هو طويل وإلا قصير وإلا أبيض وإلا أسود، ما نعرف شيء، فالمعنى معلوم، والكيف مجهول، فنريد أن نفرق بين قولهم بالتفويض، التفويض مثل ديز، تسمع كلمة ديز ويش معناها؟ عكس زيد، لكن لها معنى وإلا لا؟ ليس لها معنى، يعني كالطلاسم، وكالأسماء الأعجمية عند من لا يحسن الأعجمية، لكن إثبات السلف وإقرارهم بمعرفة المعنى دون الكيف مثل كلمة زيد، وهذا مثال تقريبي وإلا فالله -جل وعلا- أعلى وأعظم من أن يقارن

بمثل هذه الأمثلة، لكن نريد أن نفرق بين مذهب السلف وبين من يقول بالتفويض، وأنا أحتاج إلى مثل هذا؛ لأن هذه المواقع حقيقة صار لها جمهور، وصار يروج مثل هذا الكلام من حسن نية أو سوء نية، الله أعلم. يقول: "كيف تنكرونه؟ والاستفهام للتقرير، والمعنى أنهم نظروا وعلموا ما ذكر" يعني المحسوس شاهده، فغير المحسوس يجب أن يقاس على هذا المحسوس، فالمثال ضرب بالمحسوس لغير المحسوس من أجل أن يقاس عليه، ويعتبر به.

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

يقول المؤلف -رحمه الله تعالى- في قوله: **{كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ}** [(12) سورة ق] يقول: "تأنيث الفعل لمعنى قوم" لمعنى قوم، وأنهم جمع، والجمع يذكر له الفعل ويؤنث، باعتبار الجمع والجماعة، تقول: قام الرجال، وقامت الرجال، فإذا قلت: قام الرجال، نظرت إلى الجمع، وإذا قلت: قامت الرجال، نظرت إلى الجماعة، وهو هنا يقول: "تأنيث الفعل لمعنى قوم" كذبت قبلهم يعني قبل قريش، قوم نوح -عليه السلام-، الذين بعث فيهم، ولبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، وزاول معهم من أساليب الدعوة ما زاول، فلم يجدي فيهم، ثم في الأخير دعا عليهم فأغرقوا.

{وَأَصْحَابُ الرَّسِّ} [(12) سورة ق] يقول: "هي بئر كانوا مقيمين عليها بمواشيهم يعبدون الأصنام، ونبئهم قيل: حنظلة بن صفوان، وقيل: غيره" أصحاب الرس: "هي بئر كانوا مقيمين عليها بمواشيهم يعبدون الأصنام، ونبئهم قيل: حنظلة بن صفوان، وقيل: غير ذلك".

على كل حال المفسرون يختلفون في نبي أصحاب الرس، الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ذكر أكثر من قول، وكذلك الحواشي على الجلالين، وهنا اقتصر على قوله: "ونبئهم قيل" و(قيل) كما تعلمون صيغة تمييز؛ لأنه لم يجزم به، "قيل: حنظلة بن صفوان، وقيل غيره" **{وَتَمُودٌ}** [(12) سورة ق] "قوم صالح"، **{وَعَادٌ}** [(13) سورة ق] "قوم هود"، **{وَفِرْعَوْنٌ}** [(13) سورة ق] يعني وقومه، **{وَإِخْوَانُ لُوطٍ}** [(13) سورة ق] الذين بعث فيهم لوط -عليه السلام-، كل هؤلاء كذبوا الرسل، كذبوا أنبياءهم، وكذلك أصحاب الأيكة، الغيضة التي هي الشجر الملتف وهم قوم شعيب، وهم قوم شعيب، وشعيب أرسل إلى أصحاب الأيكة، وأرسل أيضاً إلى مدين، وأرسل إلى مدين، **{وَأَلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا}** [(85) سورة الأعراف] وأما صاحب مدين الذي له القصة مع موسى -عليه السلام-، لما ورد ماء مدين موسى في سورة القصص، **{وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْكُونُونَ}** [(23) سورة القصص].. إلى آخر القصة، فوالد المرأتين صاحب مدين، لكن هل هو شعيب أو غيره؟ كثير من المفسرين يستبعد أن يكون هو؛ لأن بين شعيب صاحب مدين وبين صاحب موسى مفاوز؛ لأن صاحب مدين قريب من لوط، ولذا قال: **{وَمَا قَوْمٌ لُوطٍ مِّنكُمْ بِبَعِيدٍ}** [(89) سورة هود] وهل البعد زمان أو بعد عمل؟ يعني هم ليسوا ببعيدين، المسألة قرب زمان وإلا قرب عمل؟ يعني أنتم تشبهونهم في المخالفة؟ الذي يظهر أنه قرب زمان، وبين لوط الذي شعيب قريب منه وموسى -عليه السلام- مفاوز، قرون عديدة، فمنهم من يجزم بأنهما اثنان، ومنهم من يقول: واحد، ولا يستغرب أن يعمر هذه المدة الطويلة، وعلى كل حال المسألة خلافية ولا يترتب عليها أثر، **{وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ}** [(14) سورة ق] أي: "الغيضة قوم شعيب"، **{وَقَوْمُ ثَعْبٍ}** [(14) سورة ق] يقول: "هو ملك كان باليمن أسلم ودعا قومه إلى الإسلام فكذبوه" يعني الاقتران هنا أولاً: قوم تبع مثل قوم لوط ومثل قوم نوح ومثل.. هؤلاء كذبوا،

والاقتران يدل على أن تبع إما نبي أو رجل صالح دعا قومه إلى الدين فكذبوه، وتقدم في التفسير نفسه هنا في سورة الدخان **{أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبَعِّ}** [37] سورة الدخان] قال: "هو نبي أو رجل صالح"، هنا: "هو ملك كان باليمن أسلم ودعا قومه إلى الإسلام فكذبوه" وتبع علم، علم جنس على من ملك اليمن، كما يقال بالنسبة لمن ملك مصر: فرعون، ولمن ملك فارس: كسرى، ولمن ملك الروم يقال له: قيصر، ولمن ملك الحبشة يقال له: النجاشي وهكذا، كل من المذكورين، من المذكورين قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد وقوم فرعون وإخوان لوط، فرعون وقومه، كل هؤلاء كذبوا الرسل.

كلّ من المذكورين كذب الرسل، التتوين في كلّ يقولون: هو تتوين عوض، تتوين عوض، إيش معنى تتوين عوض؟ يعني أنه عوض عن المضاف إليه، الأصل كل هؤلاء كذب الرسل، كل هذا كذب الرسل كقريش، فقريش حينما كذبوا النبي -عليه الصلاة والسلام- لهم سلف، **{فَحَقَّ وَعِيدُ}** [14] سورة ق] فحق وعيدي أي "وجب نزول العذاب على الجميع، فلا يضيق صدرك من كفر قريش بك" يعني السنة الإلهية بالنسبة للمخالفين لا تتغير ولا تتبدل، فمتى وجدت المخالفة وأيس من الاستجابة حق الوعيد، وحقت كلمة العذاب، والسنن الإلهية لا تتغير ولا تتبدل، وما نعيشه في زماننا من مخالفات مع أن الله -جل وعلا- يوالي علينا من النعم ما لا نقوم بشكره، يخشى منه من سوء العاقبة، فلو قرأنا في المجلد السادس من نوح الطيب وجدنا الصورة مطابقة، لكن نسأل الله -جل وعلا- أن يتداركنا، وأن يردنا إليه رداً جميلاً، فالسنن الإلهية لا تتغير ولا تتبدل، يعني ما استثنى من الوعيد الذي حق على هؤلاء المكذبين إلا قوم يونس، استثنوا لما رأوا العذاب آمنوا، وإلا حق الوعيد ورأوا العذاب ما فيه، السنن لا تتغير ولا تتبدل، ما في إذا رأيت المقدمات، مقدمات الفتن، ومقدمات الشرور والعذاب تقول: آمنت، ما يكفي، أعطيت فرصة ومهلة وعندك ما يدلك على الصراط المستقيم، ومع ذلك خالفت بطوعك واختيارك تحمل.

يقول: **{فَحَقَّ وَعِيدُ}** [14] سورة ق] أي: "وجب نزول العذاب على الجميع، فلا يضيق صدرك من كفر قريش بك" لا يضيق صدرك من كفر قريش بك، وفي هذا تسلية للنبي -عليه الصلاة والسلام-، وإن كان -عليه الصلاة والسلام- يعني الأرجح عنده والمفضل عنده أن يستجيبوا له، وينجون بسببه، لكن الذي يخالف مع الإصرار والعناد يتحمل، الذمة برئت من تليغته، وهكذا ينبغي أن يكون الدعاة إلى الله -جل وعلا-: أولاً: يجب أن يكونوا على بصيرة من أمرهم، وأن يقتدوا بنبيهم -عليه الصلاة والسلام-، وما عليهم بعد ذلك إلا البلاغ، مع أنك تدعو وتدعو وتدعو لا ترى مستجيب لا يعني أن هذا خلل فيك أو في دعوتك، وإنما النتائج بيد الله -جل وعلا- القلوب بيده -سبحانه وتعالى-، أنت عليك أن تبذل السبب تأمر وتنهى وتدعو إن استجاب المدعو وإلا فالأمر ليس إليك، ليس لك من الأمر شيء، هذه قيلت لأشرف الخلق، فلا يضيق صدرك بمثل هذا، نعم، **((لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم))** لكن لا يعني أنك تحترق أو تبخع نفسك أو تقتل نفسك إذا لم يستجب لك أحد، أنت أجرك ثابت، وكما يقال: العقوبة على المخالف، النتائج بيد الله -جل وعلا-، ومن نعم الله -جل وعلا- أن رتب الأجر على بذل السبب، لا على النتيجة.

وبعض الكتاب المعاصرين مع الأسف أن كتبهم تتداول في المكتبات يقول: إن نوحاً فشل في دعوته، يعني ألف سنة إلا خمسين عام ما استجاب إلا نفر يسير، ما استطاع أن يؤثر على ولده ولا على زوجته، دعوته فاشلة، مثل هذا يقال في حق نبي؟ في حق رسول؟!

ويتناول أيضاً على أشرف الخلق ويقول: إن محمداً فشل في دعوته في مكة والطائف ونجح في المدينة، ما على الرسل إلا البلاغ، الدعاة أتباع الرسل الذين يدعون إلى الله على بصيرة قد لا يستجيب لهم أقرب الناس إليهم، ولو فتشنا في بيوت العلماء الكبار وجدنا في أبنائهم مخالفات، وجدنا في نساءهم مخالفات، لكن هل يعني هذا أنهم ما بذلوا؟ بذلوا يا أخي، لكن الهداية بيد الله -جل وعلا-، لا يملك القلوب إلا الله -جل وعلا-، أنت عليك بذل السبب، وكثير حتى من طلاب العلم يتندر يقول: شوف فلان انشغل بدعوة الناس وتعليم الناس والمصالح العامة والخاصة وشوف أولاده وش لونهم؟ إنا نعرف من شيوخنا أنه يتقطع أسى على أولاده، وبذل لهم من جهده ووقته وماله ما يسعى به إلى إصلاحهم، لكن ما بيده حيلة، لكن لا يعني هذا أن الإنسان يفرط في تربية أولاده ونسائه وأطهرهم على الحق ثم يقول: النتائج بيد الله، ابذل والنتائج بيد الله، أنت عليك بذل السبب.

{أَفْعِيْنَا} [15] سورة ق] يعني: أعجزنا بالخلق الأول، الجواب؟ الخلق الأول يعني بدأ الخلق، أفعيينا به، يعني عجزنا عنه؟ نعم، يعني كل إنسان مسلم وكافر وموافق ومخالف يقول: لا، ما عجز؛ لأنه هو الذي أوجدهم، الخلق الأول كلهم يقرون به، لكن المسألة في الإعادة **{أَفْعِيْنَا بِأَخْلَقِ الْأَوَّلِ}** [15] سورة ق] "أي لم نعيها به، فلا نعيها بالإعادة" يعني لن نعجز عن الإعادة؛ لأننا لم نعجز عن البدء، والبدء أشد، فلا نعيها بالإعادة **{بَلْ هُمْ فِي نَبْسٍ}** [15] سورة ق] شك، واللبس كما يكون بالشك يكون أيضاً بالخط، **{الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبَسُوا}** [82] سورة الأنعام] الفعل: لبس له معان منها: الشك، يعني الالتباس، التباس الأمر واسبتها، هذا لبس وهو شك، ومنه أيضاً اللبس الخط **{الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبَسُوا إِيْمَانَهُمْ بِظُلْمٍ}** [82] سورة الأنعام] يعني لم يخلطوا إيمانهم بظلم، وأما اللبس للقميص ونحوه فهو معروف.

{بَلْ هُمْ فِي نَبْسٍ} [15] سورة ق] يعني شك **{مَنْ خَلَقَ جَدِيدٍ}** وهو البعث، هم في شك من البعث، لماذا؟ لأنهم لم يؤمنوا بالأخبار التي جاءت به، ولم يروه بأعينهم، يعني ما عندهم وسيلة من وسائل الاعتراف والإقرار؛ لأنهم صموا أسماعهم وعميت أبصارهم عن إدراك هذه الحقيقة التي دلت عليها الدلائل القطعية، عموا عن ذلك فلم يؤمنوا به، وإن كان بعضهم قد علم به؛ لإيمانه بأن الخالق هو الله -جل وعلا-، هم كلهم يعترفون بأن الله -جل وعلا- هو الخالق الرازق المدبر، لكن شركهم في الألوهية، بعضهم من باب المكابرة جحد بتوحيد الربوبية، جحد بتوحيد الربوبية، **{وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ}** [23] سورة الشعراء] **{وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ}** [14] سورة النمل] فإذا استيقنت بها أنفسهم من لازم ذلك، من لازم الإقرار بتوحيد الربوبية الإقرار بتوحيد الألوهية، ولا شك أن النتيجة لتوحيد الألوهية إنما تكون بعد البعث، فهي متلازمات، فمن أقر بتوحيد الربوبية عليه أن يقر بتوحيد الألوهية، ثم بعد ذلك إذا أقر بتوحيد الألوهية ما الدافع للإقرار بتوحيد الألوهية إلا من أجل الإقرار بالبعث بعد الموت والجزاء.

باقي وقت وإلا ما باقي؟ والله أعلم.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.